Journal Of the Iraqia University (73-9) July (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

تجليات مفهوم الغيب في سورة الأنعام في ضوء تفسير محمد القاضي "تذكاري ئيمان"دراسة تحقيقية تحليلية

نجاة مصطفى حسن

كلية العلوم الإسلامية/ قسم الدراسات الإسلامية/ جامعة صلاح الدين/ أربيل

بإشراف أ.د.عباس علي سليمان

الملخص

يتناول البحث أحد المواضيع الحساسة المهمة المتعلقة بموضوع الغيبيات التي تناولتها آية ٥٩ من سورة الأنعام، ويهدف البحث إلى إبراز مفهوم الغيب من خلال تحقيق تفسير أحد علماء الكورد، و تحليل الآية الكريمة التي تناولت القضايا الغيبية ومسائلها.بدأ البحث أولاً ببيان نبذة عن سيرة محمد القاضي المفسر الكوردي، الذي كان له باع طويل في العلوم الشرعية، لاسيما في مجال التفسير وعلوم القرآن، وله يد طولى في هذا المضمار، وله آثار وآراء معتدلة خاصة في العلوم الإسلامية، وله تفسير ثري بالمعلومات الدقيقة الهادفة، للقرآن الكريم باللغة الكورية وأشار البحث إلى التعريف بسورة الأنعام و مقاصدها وأهدافها، ثم فصل البحث من خلال المبحث الثاني: مفهوم الغيب، وأقسامه باعتبارات مختلفة ومتنوعة، ثم وضح البحث من خلال المبحث الثالث تفسير آية ٥٩، من سورة الأنعام، المتعلقة بالغيب في ضوء تفسير محمد القاضي (تذكار الإيمان)، بالإشارة إلى المعنى الإجمالي للآية الكريمة، و بيان الوجوه البلاغية، ثم ذكر الفوائد المستنبطة من الآية الكريمة، وأما الخاتمة فقد عرضنا فيها أهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل إليها البحث، وقد اعتمد الباحث في ذلك على المنهج التحقيقي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: محمد القاضي، سورة الأنعام، الغيب، مفاتيح.

Abstract

This research concerns a vital and sensitive question about the unseen (Ghayb), as discussed in verse 59 of Surah Al-An'am. The current research attempts to shed light on the concept of the unseen by examining the elucidation of a great Kurdish scholar and studying the fine verse that addresses questions and problems about the unseen. The research begins by presenting a brief biography of the Kurdish exegete Mohammed al-Qadi, who possessed a profound expertise in the Islamic sciences, particularly the science of Qur'anic exegesis and subsidiary sciences. He contributed significantly to this discipline, leaving moderate but worthwhile works, above all in the Islamic sciences. Al-Qadi also authored a rich and profound commentary on the Holy Qur'an in Kurdish, replete with precise and worthwhile information.Following this, the research introduces Surah Al-An'am and its objectives and targets. The second part describes the unseen in its various branches, based on various considerations. The third part then elucidates the explanation of verse 59 of Surah Al-An'am, regarding the unseen, within the context of Mohammed al-Qadi's commentary, Tazkar al-Iman. This part includes a discussion of the overall meaning of the verse and an elucidating explanation of its rhetorical elements. Secondly, benefits derived from the noble verse are demonstrated. Finally, the most significant findings and recommendations deduced by the study are listed according to a comprehensive investigation and analytical approach.Keywords: Muhammad al-Qadi, Surah Al-An'am, Ghayb, Keys

مقدمة

الحمدلله العلام الغيوب الذي يعلم السر والنجوى، ويعلم ما تُخفي الأنفس وما تُبدي، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ويفتح لعباده أبواب الهداية بنور الوحي واليقين، والصلاة والسلام على سيد الخلق و حبيب الحق محمد وآله و صحبه أجمعين، أما بعد:فإن الإيمان بالغيب هو أسُّ الإيمان، وركيزة أساسية من ركائزالعقيدة الإسلامية، و قاعدة أصيلة للدين الحنيف، وأن الله تعالى خلق الكون وأبدعه، وقسم إلى نوعين: عالم الشهادة الذي سخره للإنسان، ومنَّ عليه باكتشاف أسراره بعقله وحواسه. وعالم الغيب الذي استأثر الله تعالى به لنفسه، وبيده وحده خزائنه، فلا يعلم

الغيب ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا أي أحد من الخلق مهما علا قدرته، إلا بما أطلعه الله تعالى عليه، كما قال سبحانه :عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ...) الجن: ٢٦، وأن العقل منذ القدم يحاول اختراق عالم الغيب، بدافع شغف البحث عن المجهول أو الشكوك ،أو دوافع أخرى ولما كان هذا الموضوع واسعا ارتأى الباحث حصر دراسته من خلال آية واحدة في سورة الأنعام، من أجل الاطلاع على مفهومه القرآني ومجالاته الاعتقادية، وأهمية هذا الموضوع هو أحد الدوافع التي دعتني إلى اختيار موضوع(تجليات مفهوم الغيب في سورة الأنعام في ضوء تفسير محمد القاضي "تذكاري ئيمان")

أهمية الموضوع:

١- إبراز أهم قضايا العقدية في القرآن الكريم من خلال سورة الأنعام.

٢- بيان دور الغيب في تحديد هدف الإنسان في وجوده و تكوين إنسان يحمل مفهوم الإنسانية.

٣- وجود كلام نفيس للمفسرين لاسيما آراء محمد القاضي في تفسيره، حول هذا الموضوع.

٤- انتشار إنكار الغيبات و ظاهرة الإلحاد في الآونة الأخيرة.

أهداف البحث:

١- إبراز أهمية الإيمان بالغيب و مجالاته في منظور قرآني.

٢- توطيد العقيدة بما يمكنه من مواجهة الضلال، و الإلحاد والأفكار الدخيلة والدسيسة.

٣- التعرف على معاني آيات الغيب الواردة في سورة الأنعام، وربطها بآيات أخرى.

٤- تحقيق و تحليل مفهوم الغيب في سورة الأنعام.

مشكلة البحث

: يجيب البحث عن التساؤلات الآتية:

١- ما هو مفهوم الغيب و أنواعه.

٢-ما الآيات التي تناولت الغيب في سورة الأنعام.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة مختصة بموضوع (تجليات مفهوم الغيب في سورة الأنعام في ضوء تفسير محمد القاضي "تذكاري ئيمان").

منهج البحث: تم الاعتماد على المنهج التحقيقي والتحليلي لبعض الآيات الواردة عن الغيب في سورة الأنعام **خطة البحث:** اقتضى البحث تقسيمه على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة كالآتي:المبحث الأول : محمد القاضي حياته و جهده والتعريف بسورة الأنعام.المطلب الأول: سيرته الذاتية و مؤلفاته.المطلب الثاني: التعريف بسورة الأنعام و مقاصدها وأهدافها.المبحث الثاني: مفهوم الغيب و أقسامه.المطلب الأول: مفهوم الغيب لغة واصطلاحاً.المطلب الثاني : أقسام الغيب وأنواعه.المبحث الثالث: تفسير آية ٥٩ من سورة الأنعام المتعلقة بالغيب في ضوء تفسير محمد القاضي (تذكار الإيمان).المطلب الأول : مناسبة الآية والمعنى الإجمالي.المطلب الثاني: الجوانب البلاغية في الآية الكريمة و الفوائد المستنبطة منها.الخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : محمد القاضي حياته و جهده والتعريف بسورة الأنعام

المطلب الأول: سيرته الذاتية و مؤلفاته

اشتمل هذا المطلب على الفرعين، بيّن في الفرع الأول السيرة الذاتية لمحمد القاضي المفسر، ثم ذكر مؤلفاته و تاريخ وفاته في الفرع الثاني.

الفرع الأول: اسمه و سيرته الذاتية هو محمد بن الملا عبدالكريم بن الملا أحمد بن الملاحسين بن الملا عبدالله، وهو من عشيرة التي عمرت قصبة بينجوين.ولد في قضاء بينجوين في سنة ألف و مائتين و سبع وثمانين هجرية، و اشتهر بلقب (خواهرزاد) أي ولد الأخت، لأن أمه أخت للعالم العلامة الملا عبدالرحمن البينجويني.تربي في بيت خاله العلامة و ترعرع في كنفه وابتدأ دراسته في مدرسته، ثم سافر إلى قصبة تورجان لتحصيل العلوم الشرعية، ثم سافر إلى (مهاباد) ومكث فيها مدة، ثم رجع إلى قضاء (بينجوين)، فأكمل الدراسة العلمية عند خاله ونال الإجازة العلمية منه.فانتقل من قضاء بينجوين إلى قرى (مريوان) وصار مدرسا فيها، ثم خرج منها راجعا إلى قرية (نزارة) قرب (بينجوين)، وبقي هناك مدة، وبعد ذلك لما اشتهر فضله وذكاؤه وعلمه أمر عثمان باشا الجاف برجوعه إلى قضاء بينجوين، ونصبه قاضياً، بمرسوم سلطاني في عهد الدولة العثمانية فأقام بها قاضيا وخادما للدين، واستمر على القضاء بين أهالي المنطقة لقوة حكمته و علمه وكذلك عين قاضيا رسميا في الدولة الملكية

في العراق .وبقي مستمرا على منصب القضاء في العهد العثماني و بعد الاحتلال وأيام استقلال العراق بالحكم معززا و مكرما حتى توفاه الله تعالى، و خلف ولدين عالمين هما الحاج ملا أحمد الساكن بمدينة السليمانية و الحاج الملا هبة الله الساكن في قضاء بينجوين[١].

الفرع الثاني: مؤلفاته ووفاته:–كان مطالعا للكتب وخبيرا بتاريخ العالم، و بوجوه الإصلاح، وله تفسير للقرآن الكريم باللغة الكردية في مجلدات بعنوان (تذكاري ئيمان بؤ قةومي كوردان)، ويبلغ عدد أوراقها (٢٢٦٣) ورقة، وقد انتهى من تأليفه في ٢٩/ رمضان / ١٣٤٩هوله رسالة بعنوان: (رسالة المصدر و اسم المصدر) [٢] – وفاته: توفي سنة ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م ، و دفن في المقبرة المعروفة باسم (حاجي شيخ) في قضاء بينجوين، رحمه الله تعالى[٣].

المطلب الثاني: التعريف بسورة الأنعام و مقاصدها

الفرع الأول: التعريف بسورة الأنعام

- **اسم السورة** : سورة الأنعام، ولا يوجد لها اسم توقيفي آخر، و يدل على تسميتها بهذا الاسم حديث (إذا سرك أن يعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام...)[٤] .

- **عدد آياتها و حروفها وكلماتها:** عدد آياتها مائة و خمس وستون آية، وحروفها: اثنا عشر ألفاً وأربع مائة واثنان و عشرون حرفاً، وكلماتها ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة[٥].

- **وجه التسمية:** [٦] تكرر لفظ الأنعام في هذه السورة ست مرات في أربع آيات[٧] و لأن هذه السورة عرضت ذكر الأنعام بالتفصيل حيث تحدثت عنها في خمسة عشر آية[٨] .

- **زمن نزول السورة:** نزلت في مرحلة الجهر بالدعوة بعد سورة الحجر، وقبل سورة الصافات وهي السورة الخامسة والخمسون في العدد[٩].

- **مكان النزول:** نزلت بمكة جملة واحدة ليلاً سوى بعض الآيات منها[١٠].

الفرع الثاني : فضائل سورة الأنعام و مقاصدها

أولاً: فضائلها: قال الإمام الرازي: " قال الأصوليون: هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة: أحدهما: أنها نزلت دفعة واحدة. الثاني:أنها شيعها سبعون ألفا من الملائكة، والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة، وأيضا فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله الله تعالى قدر حاجتهم، وبحسب الحوادث والنوازل. وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله تعالى جملة واحدة، وذلك يدل على أن تعلم علم الأصول واجب على الفور لا على التراخي"[١١]

ثانياً: مقاصد السورة وأهدافها:

أهم مقاصدها:ترسيخ العقيدة الصحيحة و و محاجة المشركين و غيرهم من المكذبين و وإبطال شبههم و إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى و على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الغيب و الإيمان باليوم الآخر و مقتضياته، كما قال القرطبي رحمه الله في بيان هذه المقاصد " هذه السورة أصل في محاجة المشركين و غيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور"[١٢] و قال البقاعي : هذه السورة كلها في حجاج الفرق الضالة من المبتدعة و القدرية و أهل الملل الزائغة ، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد و دحض مذاهب الملحدين[١٣].

سورة الأنعام مكية شأنها كشأن السور المكية في التركيز على بيان العقيدة الصحيحة ومقارعة المشركين و دحض شبههم الباطلة بالحجج والبراهين الواضحة، واستهدفت السورة التركيزعلى أهم العقائد الأساسية للمشركين بطرق و أساليب متنوعة كالمناظرة والجدل والإقناع والتأثير، فهذه السورة بأكملها تدور حول المحاور الآتية[١٤]:المحور الأول: أصول الاعتقاد و التوحيد بطريق تقرير وجود الله وتوحيده و بيان آياته في الآفاق والأنفس. المحور الثاني: إثبات الرسالة والنزول الوحي و دحض شبهات المشركين و ردهم بالأدلة الحسية والعقلية.المحور الثالث: إثبات البعث والجزاء والجنة والنار بتقريرها بضرب الأمثال و تقريبها بالصور الحسية كإخراج النباتات و الزروع و إحياء الأرض بالمطر.فجميع هذه السورة تدور على إثبات دلائل التوحيد و إثبات الربوبية لله تعالى و إثبات الصانع المبدع للعالم، كما قال الاسفراييني رحمه الله "في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد" موضوعات السورة: منها ذكر المفاتيح الغيب، و شمول علم الله تعالى وإحاطته بكل المخلوقات واختصاصه بعلم الغيب.

المبحث الثاني: مفهوم الغيب و أقسامه

المطلب الأول: مفهوم الغيب لغة واصطلاحاً

اولاً: الغيب لغة: مصدر غاب، يغيب، غيباً، و غيبة، و غياباً، أي: خفي و اختفى عن الأنظار، و تخلف عن الحضور و استتر عن العين، والغيب ما غاب عنك[١٥].**ثانيا: الغيب اصطلاحاً:** قد ورد في تعريفه عدة أقوال:––قال الرازي: الغيب هو ما غاب عن الحواس و أشار بأن هذا

التعريف هو قول جمهور المفسرين[١٦].–قال البيضاوي: هو الخفي الذي لا يدركه الحس و لاتقتضيه بداهة العقل[١٧].– قال الراغب الاصفهاني: هو ما لايقع تحت الحواس ولاتقتضيه بداية العقل وإنما يعلم بخبر الأنبياء[١٨].وخلاصة التعريفات السابقة: أن الغيب: كل أمر خفي و مستتر عن الإدارك العقلي وخفي عن الحواس بحيث لا تدركه بداهة العقل ولا يتوصل معرفته إلا بالخبر الصحيح الثابت أو الآثار المنقولة أو يبقى سراً مكنونا لا يعلمه إلا علام الغيوب جل جلاله.

المطلب الثاني : أقسام الغيب

قسم العلماء الغيب باعتبارات مختلفة إلى عدة أقسام كالآتي:**القسم الأول** : تقسيم الغيب باعتبار العلم به والدليل عليه و عدم الدليل وعدم العلم به، يتنوع إلى نوعين[١٩]:**النوع الأول : الغيب المطلق الحقيقي** : هو الذي ليس عليه دليل عقلي و لا سمعي وليس له سبيل إلى العلم به عبر وسائل الحواس أو الإدراك، و لا يعلمه إلا الله، وينقسم هذا النوع إلى ضربين:**الضرب الأول:** ما أخبر الله تعالى الناس به أو ببعضه عن طريق الوحي إلى الرسل عليهم السلام، مثل العلم بالجن والشياطين.**الضرب الثاني:** ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، و ذلك هو المقصود بقوله تعالى : وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر.ومن أمثلة ذلك: العلم بوقت قيام الساعة و زمن الموت و مكانه و سببه قال تعالى ان الله عنده علم الساعة ...[٢٠] **النوع الثاني: الغيب النسبي أو الإضافي:** هو ما اختص الله تعالى بعلمه بعض خلقه دون البعض أو غاب عنهم في حال دون حال وعليه دليل عقلي أو سمعي ومن أمثلته علم آدم عليه السلام بأسماء دون الملائكة وعلم آدم الاسماء كلها، أو ما يعلمه الملائكة دون البشر وغير ذلك[٢١].**القسم الثاني: تقسيم الغيب باعتبار الزمان،** يتنوع إلى ثلاثة أنواع[٢٢]:**النوع الأول: الغيب الماضي:** هو ما اشتمل الأحداث التاريخية و وقائعها التي لم نعاصرها، كإخبار القرآن الكريم عن الأمم السابقة بقوله تعالى: تلك من أنباء الغيب نوحيها.**النوع الثاني: غيب المستقبل:** هو حجاب مستور لا يمكن لأحد أن يخترقه أو يتكهن به وهو المقصود بقوله تعالى: قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله. **النوع الثالث: غيب الحاضر:** وهو الذي غاب عنا بسبب قصور قوانا عن الإدراك كالملائكة والجن و الروح كما قال تعالى: ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي.ومن خلال ما تقدم من تقسيمات الغيب وأنواعه يتضح لنا أن هذه التقسيمات ليست متعارضة بل متوافقة متكاملة، يعضد بعضها بعضاً، ويوضح بعضها بعضا، ومالم تظهر أمثلته و صوره في تقسيم اتضحت في غيره، ويبدو أن بعض الغيبيات يمكن التعريف بها مطلقاً و بعضها لايمكن إلا بعد استعداد وشروط، وبعضها لا يمكن التعريف بها في الدنيا إلا على وجه مجمل و بعضها لا يمكن التعريف بها بحال و بعضها لا يمكن لأي مخلوق أن يعلمه.

المبحث الثالث:تفسير آية ٥٩ من سورة الأنعام المتعلقة بالغيب

في ضوء تفسير محمد القاضي (تذكار الإيمان).قال الله تعالى: [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] الأنعام: ٥٩

المطلب الأول : مناسبة الآية والمعنى الإجمالي

الفرع الأول: المناسبة بين الآية تحدثت الآيات التي قبلها بأن الحكم لله تعالى و مختص به في قوله تعالى: [إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ] الأنعام: ٥٧، و قال تعالى : [وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ] الأنعام: ٥٨ بعد قوله تعالى : [قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] الأنعام: ٥٨، في هذه الآية انتقل من الحكم الخاص إلى العام، وهو علم الله الشامل بجميع الأمور الغيبية فقال تعالى: [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ] الأنعام: ٥٩، فاندرج في هذا العلم كل ما يستعجلون وقوعه ، فإنه لما كانت الآيات السابقة تتحدث عن جزئيات من علمه وقدرته تعالى، وكان ختامها العلم بالظالم، أتبعها هذا الاختصاص بما هو أعلم من ذلك وهو علم الغيب و مفاتحه[٢٣].

الفرع الثاني: المعنى الإجمالي للآية[٢٤]تحدث الآيات السابقة عن علم الله تعالى بالظالمين و عن سعة علم الله تعالى المهيمن المحيط على جميع خلقه فإن هذه الآية تنقل السامع إلى عظيم علمه الشامل المحيط بكل مخلوقاته، جزئياتها و كلياتها الدقيقة فلا يخفى على الله تعالى خافية من هذا الكون البديع الفسيح لا في السماء ولا في الأرض بحراً كان أو براً ، ثم تحدثت عن اختصاصه تعالى بعلم الغيب وهي خزائنه فلا يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل وقد فسر هذه المفاتيح بالقرآن الكريم في سورة لقمان في قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] لقمان: ٣٤. وفسرها أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاتيح بقوله : عن ابن عمر ، رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله [٢٥]فهذه الغيبيات والأمور العظام الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى ولا يفهم من هذا حصرها في هذه الخمس، وإنما يحمل على توضيح البعض منها

لكثرة السؤال عنها، لأن علم الله تعالى شامل لجميع المغيبات لذا تحمل الآية على الاستغراق () فالله تعالى هو العالم بالمغيبات جميعها، ويفهم هذا من حصر العلم عليه تعالى عقب المفاتيح في الآية الكريمة بقوله تعالى : [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ] الأنعام: ٥٩، فحمل الآية على الاستغراق أليق بالمقام فمفاتيح جمع مضاف يعم كل المغيبات لأن علمها خاص به تعالى، و هذه الآية الكريمة تعرض تفصيلا لعلم الله تعالى الشامل المحيط للغيبيات كلها التي يطلع منها ما يشاء من خلقه وكثير من هذا العلم اختفي و طوى عن الملائكة المقربين و الأنبياء المرسلين فضلاً عن غيرهم، ثم فصلت الآية الكريمة شيئاً من علمه تعالى في البراري والقفار من الحيوانات والأشجار والحصى والتراب و غيرها من دقائق المخلوقاتوذلك لمعايشتهم لهذه المخلوقات و كذا ما في البحار من أنواع الحيوانات والمعادن و المخلوقات الدقيقة العظيمة التي لا يعلمها إلا هو تعالى و يشمل علم الله تعالى كل ما يسقط من أوراق الأشجار وكل ما يبذره المزارع من الحبوب بل علمه يشمل على كل رطب و يابس ويحيط بدقائق الأموربل هو مكتوب في لوح محفوظ فدلت هذه التفصيلات الدقيقة البديعة في الآية الكريمة على علم الله تعالى المحيط بجميع المخلوقات، فتبارك من هذا ملكه و عظمته(٢٦).

المطلب الثاني: الجوانب البلاغية في الآية الكريمة و الفوائد المستنبطة منها

الفرع الأول: الجوانب البلاغية: احتوت هذه الآية الكريمة على جوانب بلاغية متعددة ومن أهمها ما يأتي:

تقديم الظرف (وعنده) يفيد الاختصاص ، أي علمها مختص به تعالى دون غيره.في هذه الآية استعارة تخييلية مبنية على استعارة مكنية حيث شبهت الأمور الغيبية عن الناس بالمتاع النفيس الذي يُدّخر بالخزائن و المخازن المستوثق عليها بالأقفال، بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتحها، و أثبتت لها المفاتيح على سبيل الاستعارة التخييلية، والقرينة هي إضافة المفاتيح إلى الغيب، فقوله تعالى: [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ] بمثابة أن يقول : عنده علم الغيب الذي لا يعلمه غيره(٢٧).جملة لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ تأكيد لمضمون ما قبله، وإعلان بأن المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة، بمعنى أن ما تستعجلونه من العذاب ليس بمقدور محمد عليه السلام، حتى يلزمكم بتعجيله، ولا معلوم لديه حتى يخبركم بوقت نزوله بل هو مما اختص الله تعالىبه قدرة و علماً فينزله حسبما تقتضيه مشيئته وحكمته تعالى(٢٨).فيها عطف جملة وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) على جملة وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ لأنها اشتملت على إثبات علم الله تعالى دون نفي علم غيره، و ذلك لأن علم بعض الأمور الظاهرة قد يتوصل بعض الناس إلى علمه بها، فهذا العطف يفيد تعميم علمه تعالى بالأشياء الظاهرة المتفاوتة في الظهور بعد إفادة علمه بما لا يظهر للناس(٢٩)في تقديم البر على البحر راعى طريقة الترقي من الأدنى إلى الأعظم فإن البحر أعظم من البرو خفاياه أعظم و أكثر من خفايا البر(٣٠).يظهر في هذه الآية الكريمة إعجاز النظم و جماله البديع في حسن ترتيب هذه المعلومات، حيث بدأ أولاً بأمر معقول لا يدرك جميعا بالحس وهو قوله تعالى (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) ثم ثنى بأمر يدرك كثيراً بالحس و هو قوله تعالى: وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وفيه عموم، ثم ثلّث بجزئين لطيفين، أحدهما علوي و هو سقوط ورقة من علو إلى سفل، والثاني سفلي، وهو اختفاء حبة في باطن الأرض(٣١).

الفرع الثاني: الفوائد المستنبطة من الآية الكريمة

١- تدل الآية الكريمة على على علم الله المحيط بجميع المخلوقات و كتابه المحيط بكل الحوادث و عموم علمه بجميع الكليات والجزئيات.

٢-أن علم الغيب مما استأثر الله تعالى به لنفسه ولا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل وكل من ادعى علم الغيب فدعواه باطلة.

٣-هذه الآية إبطال و رد لقول الفلاسفة القائلين بأن علم الله تعالى خاص بالكليات دون الجزئيات، و فيها أيضاً رد على السحرة و العرافين والكهان المدعين لأنفسهم علم الغيب.

٤-تقرب الآية الكريمة القضايا العقلية المحضة ببعض الأمثلة المحسوسة لإقناعهم للإيمان بهحيث ذكر الله تعالى بعد ذكر مفاتح الغيب ما يشاهدون و يحسون في واقعهم في البر والبحر من المخلوقاتالدالةعلى وحدانيته تعالى وعظمته و سعة علمه.

الخاتمة

توصل الباحث من خلال دراسة لهذه الآية، إلى عدد من النتائج والتوصيات كالآتي:

أولاً : أهم النتائج

١-الغيب هو كل ما غاب عن تصورات الحس وإدراكات العقل وقد يطلعنا الله تعالى على بعضن منه بطريق الوحي أو يبقى سراً مكنوناً لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد يكون من أمور الآخرة كالبعث و الصراط، و قديكون من أمور الدنيا كحقيقة الروح والملائكة.

٢-ينقسم الغيب باعتبارات مختلفة مثل تقسيمه إلى غيب مطلق الذي استأثر الله تعالى بعلمه كمفاتيح الغيب الخمسة، و قسم آخر غيب نسبي وهو ما كان غيبا على بعض الخلائق دون بعض أو ما كان غيبا بسبب الزمان والمكان.

٣-أن آية وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ، من الآيات المجملة التي جاء تفسيرها و بيانها في موضع آخر حيث جاء تفسيرها في سورة لقمان في آية ٣٤، وكذا جاء بيانها في السنة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس...)

٤-المغيبات كثيرة لايمكن حصرها ولا يعلمها إلا الله تعالى و أن ماورد في الأخبار من تحديد مفاتح الغيب بعدد معين يحمل على بيان البعض لا الحصر أو أن هذه المفاتيح هي كبرى الأمور الغيبية و أمهاتها وكل ما سواها مندرج تحتحا.

٥-أن الله تعالى استأثر بعلم الغيب وحده، فلا يعلم الغيب نبي مرسل ولا ملك مقرب، وأن السحرة والمنجمين والكهنة الذين يدعون علم الغيب هم الكذابون فيما يخبرون من الأمور الغيبية.

٦-مما اطلع عليه من بعض الأمور الغيبية يرجع إلى أنه اطلع على بعض الجزئيات لا على الكليات ولا علم لهم بجميع الجزئيات، وعلمهم محدودببعض الجزئيات مثل ما توصلت إليه النظريات العلمية والدراسات الحديثة من تحديد نوع الجنين بعد تخلقه، وغير ذلك.

ثانيا: التوصيات:

١-دراسة القضايا الغيبية التي تناولها القرآن الكريم دراسة دقيقة مستقلة لكل ما ورد من القرآن الكريم و السنة النبوية أو نظريات علمية أو دراسات حديثة.

٢-جمع الآيات المجملة مع الآيات الأخرى التي تفسرها في القرآن الكريم و السنةالنبوية بدراسات أكاديمية مستقلة.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم و مخطوط العلامة محمد القاضي (تذكاري ئيمان).

١-الاتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق: مركز الدراسات القرآنية، ط١، دار النشر: مجمع الملك فهد، السعودية.

٢-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣-أركان الإيمان: علي نايف الشحود، ط٤، الطبعة الرابعة١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م.

٤-أسرار ترتيب القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار الاعتصام – القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

٥-أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دارإحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٦-بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

٧-البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط١، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

٨-البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، ط١، مركز المخطوطات والتراث – الكويت

الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٩-تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

١٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، دار الفكر المعاصر – دمشق، ١٤١٨ هـ.

١٣- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٤- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٥- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت.

١٦- حياة الأمجاد من علماء الأكراد، طاهر ملا عبدالله البحركي .

١٧- درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ.

١٩- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٢٠- الشيخ محمد الخال مفسراً،عمر على محمد.

٢١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ،ط٤، دار العلم للملايين – بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٢- الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، ط١، دار الشعب – القاهرة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٢٣- علمائنا في خدمة العلم والدين ، العلامة الشيخ عبد الكريم محمد المدرس.

٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٥- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٦- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢٧- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ.

٢٨- المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن، جمع وإعداد :علي بن نايف الشحود، الكتاب داخل المكتبة الشاملة.

٢٩- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٠- الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٣١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

هوامش البحث

(١) علمائنا في خدمة العلم والدين ، العلامة الشيخ عبد الكريم محمد المدرس ٥٥٥، و حياة الأمجاد من علماء الأكراد، طاهر ملا عبدالله البحركي ٣/ ١٢١.

(٢) الشيخ محمد الخال مفسراً،عمر على محمد، ٧٠.

(٣) حياة الأمجاد من علماء الأكراد، طاهر ملا عبدالله البحركي ١٢١/٣.

(٤) صحيح البخاري: ٤/ ٢٢٤، رقم الحديث:٣٥٢٤، باب بدء الوحي.

(٥)ينظر: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٥١) و دالموسوعة القرآنية خصائص السور) ٣ /٣.

(٦) ينظر: زهرة التفاسير ١٠ /٥٢٩٤، والمفصل في موضوعات سور القرآن ٢٦٠.

(٧)ينظر: المفصل في موضوعات سور القرآن ٢٦٦.

(٨) من الآية ١٣٦ إلى ١٥٠، من سورة الأنعام.

(٩) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ١ /٤٣٣.

(١٠) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ٨٠، و الإتقان في علوم القرآن ١ /٣٩.

(١١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٧١).

(١٢)الجامع لأحكام القرآن ٦ /٣٨٣.

(١٣) ينظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور – العلمية ٢ /٥٧٩.

(١٤) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٢/ ٤٧١، وحاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي٣/ ٣٠٧، و روح المعاني ٧/ ١٠٢، و التحرير والتنوير ٧/ ١٢٣.

(١٥) ينظر:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١ /١٩٦، و مقاييس اللغة٤ /٤٠٣، و تاج العروس ٣ /٤٩٧.

(١٦) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٢ /٢٧٣.

(١٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١ /٣٨.

(١٨) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٦١٦.

(١٩) ينظر: أركان الإيمان لعلي بن نايف الشحود ١٠.

(٢٠) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٧٣.

(٢١) ينظر : انوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ١٨.

(٢٢)ينظر: المعتصر شرح كتاب التوحيد ١٣٧.

(٢٣) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٥٣٤،و نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢/ ٦٤٦.

(٢٤) ينظر: جامع البيان للطبري ٩/ ٢٩٤، و البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٥٤٠، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٤١١، والتحرير والتوير ٧/ ٢٧٥.

(٢٥) صحيح البخاري – طبع دار الشعب (٦/ ٩٩)، رقم الحديث (٤٦٩٧)، كتاب بدء الوحي.

(٢٦) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب للرازي ١٣ /٩ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢ /١٦٥، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٣ /١٤٣ و التحرير والتنوير) ٧ /٢٧٠.

(٢٧) ينظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٢٩، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ١/ ٥٠٩، و التحرير والتنوير ٧/ ٢٧٠.

(٢٨) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ٣٩٣،و التفسير المنير للزحيلي ٧ /٢٢٧.

(٢٩) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ٢٧٢.

(٣٠) ينظر: تفسير المنار ٧/ ٣٩٤.

(٣١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٥٣٥.